

## Reply to the Council of Muslim Scholars

تناولاً لما جاء في بيان هيئة العلماء المسلمين في لبنان، الذي ردّ على البيان التي طرحه تجمّع "المحافظون الجدد - لبنان"، لنا أن نقول التالي:

(١) تقولون: "إن كل بند من البنود التي أعلنت في وثيقة مؤتمرهم يحمل النفس الطائفي التقسيمي الحاقد على كل شعوب المنطقة."

غير صحيح أنّ البيان حمل النفس التقسيمي في كل بنوده، فمثلاً تم طرح الخيار الاتحادي (أي الفدرالي وفق المصطلح الأجنبي المُعرَّب) في البند الثاني، فرجاء لا تقولوا "كل البنود"...! جدّيّاً الآن، يخال، أقول يخال، أنكم لم تقرأوا البيان، بل أنّ أتت هذه الجملة كردّة فعل عفوية...

على أي حال، أولم يجتمع "اللقاء الإسلامي" في منزل الراحل صائب سلام بُعيد ترشّح الراحل بشير الجميل لرئاسة الجمهورية ويصدر بياناً جاء فيه أنّ "الحكم في لبنان ليس حكم العدد"؟ وألم يكن هذا يعني نية الخروج من النظام المركزي الوحدوي (Unitary centralized state)؟ وماذا كان البديل ليكون غير الفدرالية أو التقسيم في العلوم السياسية؟

وأولم يكتب الصحافي جهاد الزين في السفير (عدد ١٨ تشرين الثاني، ١٩٨٢) "أما أن الأوان بعد كلّ الظروف والتجارب التي مرّ فيها البلد، والتي دفعت تجربة الوحدة والانقسام إلى أبعد درجاتها، أن يعاد النظر في مفهوم الوحدة اللبنانية حيث يُستبعد مفهوم الوحدة الانصهارية لصالح مفهوم الوحدة التعدّدية التي تعكس فعلاً الواقع الحقيقي للبنان ولحركة طوائفه غير القابلة للانصهار ببعضها البعض، بل التي لا يمكن لها أن تنصهر"؟

أكثر من ذلك، أولم ترفضوا سايكس - بيكو وتطالبوا بالانضمام للراحل فيصل بن الحسين، ثم طالبتم بالانضمام للراحل عبد الناصر، ثم انضمتم إلى الراحل عرفات والثورة الفلسطينية في لبنان؟ وما كان ذنب المارونية السياسية آنذاك؟ ودعونا من قصة الحرمان، فما عساها أن تفعل المارونية بين ١٩٤٥ (انتهاء الحرب العالمية) و١٩٦٥ (بداية الانفلاش الفلسطيني) مروراً بثورة ١٩٥٨ وأزمة الحزب القومي عام ١٩٦١، رغم قيامها، فيما خص الحرمان، بتأسيس الضمان الاجتماعي والجامعة اللبنانية والتعليم الرسمي ومشروع الليطاني وتشغيل مصفاتي طرابلس والزهراني، هذا عدا عن تأسيس دولة بكل ما للكلمة من معنى مع استقرار سياسي واحتياطي ذهب وجواز سفر تُضرب له التحية؟ إذا كان معياركم عدم وصول الزفت إلى أطراف لبنان، فاعلموا أنّ حال الدول الأوروبية لم يكن أفضل حينها، لكنكم لم تعطوا أية فرصة...

إنما بالنتيجة لا، لم يكن السبب الحرمان الذي استخدمتموه مطية، بل كونكم ذقتم الذمية لأول مرة منذ الفتوحات، وقالها مفتيكم الراحل حسن خالد عام ١٩٨٣، وكان على حق: "سياسة الحكم في لبنان لا تتأثر بالإسلام في أي مظهر من مظاهرها"، و"في التشريع والقضاء أدخل الإسلام في خزانة الماضي"، و"في المال والاقتصاد يقع الإسلام في وادٍ والنظم المالية والاقتصادية في وادٍ آخر"، و"لم يبق من مظاهر الإسلام في هذا البلد إلا بعض أحكام الأحوال الشخصية"، و"العلمنة تهدف إلى إخراج المسلمين من دينهم"، و"العلمنة تتنافى مع الإسلام"، و"نحن المسلمون في عقيدتنا نحارب العلمانية كما نحارب الداعين إليها"، و"هذا هو الإسلام، والمسلمون (...) يعتقدون أنه أنزل على نبيهم ديناً ودولة للفرد والمجتمع"، و"العلمانية هي لهدم الحاجز الوحيد والأخير الذي يرد عن المسلمين في لبنان أخطار الاذابة والتفتيت

والتضليل التي يتعرضون لها بقوة وإلحاح"، و"إنَّ توهُّمَ بعض المثقفين أنه يمكن التوفيق بين الإسلام في المجتمع الإسلامي والعلمانية، عائد إلى قصور هؤلاء المثقفين في تصور الإسلام".

المفتي كان شجاعاً وصريحاً وعارفاً ماذا يريد وعارفاً أنَّ المسلمين في لبنان في تخبُّطٍ فظيعٍ ضمن نظامٍ مركزي، السيطرة فيه للمسيحيين.

أما بالنسبة للحقد، فنحن تلاميذ المسيح، علَّما أن نحب أعداءنا وأن نبارك لاعيننا وأن نصلي لمضطهدين، فكيف لا نحب إخوتنا في الإنسانية الذين نتشارك معهم الأرض منذ ١٤٠٠ عام؟ لماذا تفسِّرون أخذ مساحة حرية لنا، بالتوازي مع إعطاء مساحة حرية لكم، على أنه ناجم عن حقدٍ؟ بماذا نؤذيكم بعيشنا إلى جانبكم دون أن يخضع أحدنا للآخر؟

(٢) تقولون: "إن المسلمين السَّنة في لبنان حريصون على بناء الدولة القوية العادلة، التي يتساوى فيها كل اللبنانيين في المواطنة، ويمدّون أيديهم لكل شركائهم في الوطن، ومنهم المسيحيون، لتحقيق ذلك".

صراحةً، لم نر أي علامة حرص لدى المسلمين السنة ولا لدى سواهم على بناء الدولة العادلة ولا على المساواة في المواطنة ولم نر أي يد ممدودة حتى لأي فريق مسلم لفريق مسلم آخر، مدة ١٠٥ أعوام، رغم الفرص المتتالية. ونحن لا نلومهم: نحن في صراع عمره ١٤٠٠ عام، فلماذا الإعلان عن حرصٍ غير موجود؟ وها رئيس الوزراء يطالب بإلغاء الطائفية السياسية، وتجاهلكم لتداعيات تطبيق هكذا مطلب هو مناقض للحرص الذي تطرحونه، والشيعية باسم رئيس مجلس النواب يطرحون قانون انتخابي بلبنان دائرة واحدة. يسوع قد قال: "الحكمة تبررها أعمالها".

على صعيدٍ موازٍ، هل أنتم مؤمنون على أي حال بالمساواة في المواطنة بينكم وبيننا؟ أنتم علماء مسلمون وتدرّون تعاليمكم في اللامساواة، وأكثر من ذلك هي على حق من الناحية الدنيوية السوسولوجية، وتدرّون أنكم أمة، ونحن نتفهّمكم: أي أمة تقبل بمساواة بينها وبين مجموعة من أمة أخرى ضمن نظامٍ واحد؟ أنتم على حق بأن ترفضوا أي شكل من مساواة كذلك، ونحن أيضاً! نعم، لا يجب أن يحصل هذا معكم. لكن رجاءً لا تلعبوا ورقة التقية وتظاهروا بأمور أنتم ترفضونها، وأعيدكم إلى كلام شهيدكم المفتي أعلاه: هل تتبرّون من كلامه؟ يسوع قد قال: "قولوا الحق والحق يحرركم، وليكن كلامكم نعم نعم لا لا".

(٣) تقولون: "فمن أحبّ أن يتعاون معنا لتحقيق هذه الغاية فأهلاً وسهلاً، ومن أصرّ على لغة الانفصال والعداء فهو حر..."

ذكرتم الحقد أعلاه، تذكرون العداء الآن... لماذا الانفصال هو عداء بالنسبة لكم؟ ألم ترفضوا الانضمام إلينا بين ١٩٢٠ و١٩٣٦ وأجبرناكم بقوة الغرب بأن تنسلخوا عن محيطكم؟ ألم تكررنا هذا عامي ١٩٥٨ و١٩٧٥؟ هل أصرينا على اعتباركم أعداء بعد الحرب؟ أم حاولنا اعتباركم إخوة لنا؟ وأكثر من ذلك جئتمونا بمرسوم تجنيس الـ ٩٤ وكل الممارسات الإقصائية منذ الطائف...

(٤) وأخيراً تقولون: "لكننا نثبّه أن هذه اللغة الانفصالية والعدائية قد تفتح الباب واسعاً للدعوة إلى الوحدة السياسية والاقتصادية والجغرافية بين كل دول بلاد الشام... وعندها، فليتمتع "اليمن المسيحي اللبناني" بـ"اليمن الأوروبي والأمريكي" خلف البحار، ولنتمتع نحن بمحيطنا العربي والإسلامي الواسع، الذي يشمل الأردن وسوريا ولبنان وفلسطين، ويلتقي حتماً مع تركيا والخليج العربي، ويكون جزءاً لا يتجزأ من أمة الملياري مسلم في كل العالم...".

من كل قلبنا، ليعن ما يعنيه تنبيهكم بأن تدعوا إلى الوحدة السياسية والاقتصادية والجغرافية بين كل دول بلاد الشام. وأعيدكم إلى أعلاه ومحاولاتكم المتكررة منذ رفض سايكس - بيكو، ما هو بتنا نتفهّمه لأنكم كنتم أصلاً ضمن هكذا وحدة مدة ١٣٠٠ عام حتى جئنا بإنشاء لبنان الكبير، واعذرونا فكانت محاولة منّا لاستعادة حريتنا التي فقدناها منذ الفتوحات.

ونحن اليوم بتنا مع طرحكم هذا بالوحدة مع المحيط إذا تحبّذونه، ومع أن ينسحب على كامل العالم الإسلامي إذا ارتأى المسلمون ذلك، فأنتم أمة، والمسلم في موريتانيا أخ المسلم في إندونيسيا، وعليه يجب، ليس فقط من ناحية تعاليمكم إنما أيضاً من ناحية علم الاجتماع، أن تكون لكم دولة إسلامية تضم الملياري مسلم (وتختارون في كنفها ما تريدون أن تطبقوا من قوانين).

وبعد هذا، وإذا رفضتم الدولة الفدرالية ومهما كان السبب، هل من الضروري أن تكون أي دولة خاصة بكم معادية لأي دولة خاصة بنا؟ لا نريد التمتع باليمين الذي ما وراء البحار، نريد العيش إلى جانبكم في ما بقي من أرضنا من بعد الفتوحات بحرية وأمان وسلام على أساس علاقات من الند إلى الند، لكن هل سألتكم أنفسكم ولو لمرة واحدة لماذا نحن مضطرون بأن نتواصل مع العالم الغربي في كل حين نرى فيه فرصة لتحقيق حريتنا؟ أرجو أن تقرأوا هذا النص مرتين، فربما، أشدّد، ربما، هذه أول مرة نخاطبكم بصراحة (ولكم منّا اعتذاراً لعدم قيامنا بهذا من قبل)، دائماً مع ملء المحبة وكامل الاحترام.